مجلة التراث العلمي العربي فصلية، علمية، محكمة العدد (45) 2020م

توظيف الشخصيات التُّراثية الدِّينية في شعر نجاح إبراهيم

عذرا دريس د.علي خضري
(طالبة الماجستير بجامعة خليج فارس، بوشهر، ايران) (أستاذ مساعد بجامعة خليج فارس، بوشهر، ايران)
ath.deris@gmail.com الكاتب المسؤول alikhezri@pgu.ac.ir
د.محمد جواد پورعابد
(أستاذ مساعد بجامعة خليج فارس بوشهر، ايران)
m.pourabed@pgu.ac.ir

الملخص:
يُعدُّ توظيف التراث من أبرز السّمات والأساليب الفنية في الأدب وله مكانة مرموقة عند شعراء العرب المعاصرين، وذلك لوجود صلة وطيدة ما بين التراث والإنسان إذ لا وجود للتراث دون وجود الإنسان. وقد أقبل الكثير من الأدباء والشعراء على التراث ولا سيّما توظيف الشخصيات التراثية، واهتدى لها ولأشكالها المختلفة، فمنهم الشاعرة السورية نجاح إبراهيم التي خطت بخُطاها في هذا الطريق واستلهمت التراث في أشعارها بشتّى أنواعه. وتؤدّي الشخصيات أثراً بليغاً في قصائد الشاعرة وتُلقي بالكثير من الدِّلالات والتعابير في ذهن المتلقّي.

نهدف في هذا البحث الذي اعتمدت خطته على المنهج الوصفي–التحليلي إلى دراسة الشخصيات الدينية والقرآنية التي استدعتها نجاح إبراهيم في دواوينها الشعرية ودلالاتها التي عبَّرت من خلالها عن خلجات نفسها، منها: شخصيات الأنبياء، والشخصيات النسائية، والشخصيات الإسلامية. وقد توصّلنا بعد تطرُّقنا لهذه الشخصيات إلى أنَّ توظيف الشاعرة للشخصيات الدينية ليس مجرد نقلٍ لها تزيّن به قصائدها بل ردَّة فعلٍ لما يحدث في الشعوب والمجتمع البشري، كما وظَّفت قصة النبي يوسف (ع) وإخوانه للتعبير عن الخيانات في العالم العربي، ووظَّفت شخصيتَي هاجر ومريم (ع) تعبيراً عن حزن البلاد الأمِّ تجاه قوارع الدَّهر.
الكلمات الدليلية: الشعر العربي المعاصر، نجاح إبراهيم، التوظيف، الشخصية الدينية.

The recall of traditional religious characters in the poems of najāh ibrāhīm

Athra deris

(ma student, department of Arabic language and literature, Persian gulf university, bushehr-iran)

Dr. Ali khezri

(assistant professor in Persian gulf university, bushehr-iran) Corresponding

Dr. Mohammad jawad porabed

(assistant professor in Persian gulf university, bushehr-iran)

Abstract:

Calling tradition is one of the most prominent technical features and methods in politeness and has a special place among contemporary Arabic Poets because of the connection that it has between tradition and humans in which there is no human tradition. Many scholars and poets have turned to tradition, particularly the call for traditional personalities and it's various forms, among them was the Syrian poet najāh ibrāhīm who took this step. And she used tradition in his poems with various types. Characters play an important role in the poet's with many implications and explanations in the audience's mind.

In this study, we rely on a descriptive-analytic approach to identify the religious characters that najāh ibrāhīm's called in his poetry treasures. We also examine the implications of those characters by which they explain their mental states. In this way, characters such as characters of the prophets, characters of women, Islamic characters and the will be analyzed. The results of the study show that the poet's calling of the characters is not merely a quotation of the characters as a means of making the story beautiful Rather, it is a reaction to what is happening in nations and in human society, just as the story of prophet yūsuf and his brothers to reveal the treachery of the Arab world and used two characters of Hājar and Maryam to express the sorrow of the motherland against the misfortunes of the day.

Key words: Contemporary Arabic Poetry, Najāh Ibrāhīm, Recall, Religious Characters.

المقدمة

يُعَدُّ توظيف التراث إحدى الآليات التي يقصدها الأدباء عامةً والشعراء خاصةً لتصوير مقاصدهم ولنقل رؤاهم وتجاربهم الشعرية وكثيراً ما ارتدَّ الشعراء المعاصرون إلى التراث ومعطياته، فهو الهوية الثقافية لكل الشعوب والأمم.

لكلِّ أمَّةٍ تراثٌ خاصٌ ولكلِّ تراثٍ أنواع مختلفة يتحلّى بها، فمن تلك الأنواع هي الشخصيات التراثية التي تداولت سيرتها على مرِّ الأزمنة وأصبحت مصدراً يراجعه الناس وبالتحديد الأدباء، فيستدعونها استدعاءً هادفاً لكي يسقوا نصوصهم منها فتصبح خصبة بالمعاني والدلالات التي وُضعت لأجلها. شاعت ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية في العصر الحديث تلبيةً لمبتغى الأدباء وتأديةً لدورها الخاص في النص. وإنَّ توظيف الشخصيات في الشعر هو عبارة عن إحيائها وامتدادها في عصرنا الحاضر، فلم تتوقَّف عجلة زمانها عن الحركة بل أخذت تتقدَّم على مرِّ العصور.

يستخدم الشعراء الشخصيات التراثية للتعبير عمّا لم يتمكّنوا من انتقاله مباشرةً، وللتستُّر والتخفِّي والإبداع في نقل التجارب؛ لذلك تكون الشخصيات لساناً ناطقاً لهم. عكف الكثير من الشعراء على الشخصيات الدينية ووظفوها في آثارهم وذلك لقداستها واعتقادهم وكذلك اعتقاد الناس بتلك الشخصيات، فيستعينوا بها ليستدلَّ المتلقِّي الطريق لمسار رؤاهم. ومن الشعراء الذين رموا بشباكهم في بحر التراث لاصطياد الشخصيات والتعبير بها هي الشاعرة نجاح إبراهيم التي كثيراً ما نشاهد استدعاء الشخصيات في أشعارها وتحديداً الموروث الديني. يُعَدُّ توظيف الموروث الديني من أبرز ظواهر تقنية استدعاء التراث التي اعتمد عليها الشعراء، وذلك لأنّ «استحضار الشخصيات الدينية يعطي النصّ رونقاً متزايداً إذ يغذّي النصّ بالشخصية الدينية»1.

وأمّا الهدف من هذا البحث فهو دراسة الشخصيات التراثية الدينية التي استرفدتها الشاعرة نجاح إبراهيم فتساعدنا على فهم الرموز وكذلك مشاعر الشاعرة الكامنة وراء تلك الرموز، وتحليل الدلالات المستترة وراء كلِّ شخصية مستدعاة وكذلك كيفية إحضارها في القصائد. واقتضى موضوع دراستنا أن ترتكز الدراسة على ثلاثة محاور وهي: شخصيات الأنبياء

والشخصيات النسائية والشخصيات الإسلامية. واعتمدنا في دراستنا لهذه الشخصيات على المنهج الوصفي–التحليلي.

أسئلة البحث

واجهنا من خلال إعدادنا لهذه الدراسة بعض التساؤلات وهي:

1. ما هي أبرز الشخصيات الدينية التي استرفدتها نجاح إبراهيم؟
2. ما هي الدوافع التي دفعت الشاعرة لتوظيف الشخصيات الدينية؟
3. كيف تتجلّى الشخصيات الدينية في شعر الشاعرة؟
4. ما هي الدلالات الكامنة وراء الشخصيات المستدعاة؟

خلفية البحث

عكف الكثير من الكتّاب والباحثين على دراسة التراث والشخصيات الدينية المستدعاة في النصوص الأدبية ونُشرت الكثير من الكتب والدراسات لهم في هذا المجال، منها كتاب "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" للمؤلِّف علي عشري زايد (1999م)؛ يحتوي هذا الكتاب على أربعة أجزاء يتطرَّق المؤلف فيها إلى: علاقة الشاعر المعاصر بالموروث بين التسجيل والتوظيف ومصادر الشخصيات التراثية وتكنيكات توظيفها في الشعر المعاصر والمزالق التي تهدد ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية. وهناك رسالة دكتوراه تحت عنوان "أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث" للباحث حسن مطلب المجالي (2009م) الجامعة الأردنية؛ الذي توصَّل في كتابة رسالته إلى أنَّه ساهم الوعي بمفهوم (التناصّ)، في رفد التجارب الشعرية بآليات تمكِّن الشعراء من استيعاب القصة القرآنية، وإدخالها ضمن مرجعيات نصوصهم وأنَّه استدعى شعراء العرب الحداثيين القصة القرآنية، ضمن آفاق ثلاثة هي: أفق التجاور، وأفق التماهي، وأفق التضادّ. وثمة دراسة معنونة بـ "التراث مصادره وأشكال استلهامه في الشعر النسوي المعاصر بالجزائر" للباحث عزالدين جلاوجي (2016م) منشورة في مجلة الأثر، العدد 24؛ تناول الباحث في دراسته محطَّات مختلفة من التراث كالموروث العربي والإسلامي، والموروث الوطني والشعبي، والموروث الشرقي القديم، والموروث الغربي. ودراسة أخري بعنوان "أهل البيت عليهم السلام

في شعر كشاجم حفيد" لسيد محمد رضي مصطفوي نيا ومحمد عابدين بايگان (1390هـ.ش) نُشرت في فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد 9؛ تناول الباحثان في هذه الدراسة الأشعار التي أنشدها كشاجم بحق أهل البيت عليهم السلام وتوصَّلا إلى أنَّ الشاعر ركَّز على إظهار الولاء لأهل البيت (ع) في قصائد معينة، بيَّن فيها اتجاهاته العقائدية والسياسية، ووجَّه أكثر ما بقى من شعره إلى الوصف والإخوانيات؛ واتخذ مواقف مختلفة عمَّا عرف عن جده السندي بن شاهك، تجاه الإمام الكاظم (ع).

ومن خلال بحثنا بشأن أشعار الشاعرة عثرنا على بعض المقالات المنشورة في المواقع الإلكترونية وفي دواوينها كمقالة "الشعر لعبةُ الجمال" لسلمان كاصد (2018م)؛ وقد عالج الناقد فيها: الأنساق الموجودة في ديوان الشاعرة نجاح إبراهيم الموسوم بـ "عاصفة الجمال" وأهمُّ تلك الأنساق هي: العنوان بوصفه دالّاً، والتكرار بوصفه نسقاً، والتمركز حول ذات الآخر، والتقابل الدلالي بين العناصر الشعرية. وبلغ من خلال مقالته بعض النتائج وهي أنَّ الشاعرة لم تقدّم نصاً يشابه آخر وكتبت الشعر من أجل تجديده. بعد الاطلاع على هذه الأبحاث يمكننا القول بأننا لم نعثر على دراسة تعالج هذه الظاهرة في دواوين الشاعرة وإنَّها أوَّل دراسة تعني بظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية وتحديداً الشخصيات الدينية في شعر نجاح إبراهيم.

نبذة عن حياة الشاعرة

وُلدت نجاح إبراهيم الشاعرة والكاتبة والناقدة في عفرين بسوريا عام 1965م، وعاشت كل سنواتها في محافظة الرّقَّة في مدينة الطبقة التي فيها سد الفرات العظيم ثم نزحت عنها بسبب الحرب. بدأت الكتابة منذ عام 1978م، ونُشرت أولى قصصها في مجلة "الضاد" عام 1989م، ثمّ نُشرت لها قصص كثيرة في المجلات والصحف وصُدر لها مؤلَّفات عدَّة، منها كتابها الأوّل تحت عنوان "المجد في الكيس الأسود" عام 1992م؛ وهو عبارة عن مجموعة قصصية. وقد فازت الأديبة بجوائز عدة، منها: جائزة العجيلي للقصة القصيرة، وجائزة دمشق للثقافة والتراث وغيرها من الجوائز، وشاركت في الكثير من المهرجانات الأدبية في سوريا

والعراق ولبنان وايران وتُرجمت بعض أعمالها إلى الفرنسية، والتركية، والأرمنية والفارسية و.... وهي عضو اتحاد الكتّاب العرب في سوريا منذ عام 1998.(2)

تعريف التراث

التراث لغةً

هناك الكثير من المعاجم التي اعتنت بلفظة التراث وتعريفها، وقد ورد في لسان العرب بأنَّه «أَوْرَثَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ مَالاً إيرَاثاً حسناً، أَوْرَثَهُ الشَّيءَ أَبُوهُ وهُم وَرَثَةُ فُلَان، ووَرَثَهُ تَوْرِيثاً أي أدخله في ماله عَلَى وَرَثَتِهِ، وتَوَارَثُوهُ كابرا عن كابر، وأَوْرَثَ المَيِتُ وَارِثَهُ ماله أي تركه له، والتُرَاثُ ما يخلفه الرجل لِوَرَثَتِهِ».3 كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم وفي قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾4 وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَبَ الَّذِينَ اصطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَ مِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقُ بالخَيْرٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾.5

التراث اصطلاحاً

التراث هو ما توارثته الأزمن منذ العصور السالفة وما وصل إلينا منها مكتوباً كان أو منقولاً ملموساً كان أو غير ملموسٍ، فهو «يمثِّل الذاكرة الحيَّة للفرد والمجتمع، ويمثِّل بالتالي هويَّة يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب»6، بحيث لا تنبع حضارة ولا ثقافة إلّا منه. «ولقد كان التراث –في كل العصور– بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم التفجُّر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة»7، فالتراث هو الملجأ الذي يلجأ إليه الشعراء في معظم حالاتهم والعصا التي يستندون إليها عند انكساراتهم وهو الذي يربط الماضي بالحاضر ومِن ثَمَّ بالمستقبل. التراث هو ما أنجبه الماضي وأثَّر فيه الحاضر و«هو عبارة عن احتكاك الحضارات ببعضها البعض»8 (مزياني، 2015م: 15).

لم تُستعملْ كلمة التراث بالمعنى الاصطلاحي إلّا في العصر الحديث، بعد نكسة العرب في حرب حزيران 1976م، التي ظلت تحفر عميقاً في وجدان أبناء الأمة العربية، ولا سيّما المثقَّفون منهم، لإدراكهم أنَّ الهزيمة لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت هزيمة حضارية أيضاً،

فقد أدرك المثقَّفون العرب أنَّ العودة إلى الجذور ضرورة مُلحَّة وذلك ليس لتمجيد الماضي، بل لمساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة9. ينقسم التراث على أقسام عدة: التراث الديني والثقافي والأدبي والشعبي (الفلكلوري) والأسطوري، ففي هذا البحث انطلقت عجلات بحثنا نحو التراث الديني وتوظيف شخصياته في شعر الشاعرة نجاح إبراهيم.

الشخصيات الدينية

لقد أدرك الشعراء أهمية توظيف التراث الديني وتأثيره الوافر في شعرهم وبالتحديد على ذهن المتلقِّي، فكثيراً ما غرفوا من هذا المنهل دلالاتهم الشعرية واستمدّوا من معطياته رموزهم لإبداء مشاعرهم. ولا يحدث توظيف التراث إلّا باتِّساع تجربة الشاعر بكل ما سبق من أحداث وقضايا على مدى الأزمنة. «وكان التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخيًّا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا أدبية، والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني»10.

هناك الكثير من الأدباء الذين استعانوا بالقرآن الكريم وجعلوه مصدراً أساساً لهم، فهو أحد الروافد الثَّقافية التي يستمدُّون منها الصور والمعاني والتشبيهات المتميِّزة، ولقد أدركوا ما حملته لغة القرآن من بيان وبلاغة وروعة في التعبير أضفى على الألفاظ العربية معاني ومدلولات عميقة.11 (محمد سلامة الكساسبة، 2006م: 19). ومن الشعراء الذين قصدوا منهل التراث الديني وسَقَوا قصائدهم بموضوعاته وشخصياته هي الشاعرة السورية نجاح إبراهيم التي غالباً ما نلاحظ الشخصيات الدينية في نتاجها الشعري، وهذه الشخصيات هي عبارة عن الأصوات التي استدعتها الشاعرة لتوصيل أحاسيسها ورؤاها إلى مسامع العالم. ونحن بصدد معالجة هذه الشخصيات ومدلولاتها فيما يلي.

شخصيات الأنبياء في شعر نجاح ابراهيم

وظّفت نجاح إبراهيم القصص القرآنية وشخصياتها في قصائدها وذلك لإثراء مضامينها بمعاني تلك الشخصيات، فدخلت نصوصها وهي محمّلة بالكثير من الرموز والدلالات ما

يناسب السياق الشعري. و«نوقن أنَّ المسحة النفسية للصورة القرآنية تظل الرباط القوي الذي يشدّ النفوس إلى الإذعان لغرضها، ويوجّه الاهتمام إلى غاية الهداية، هذا إلى جانب إيقاظ الحساسية بالجمال الذي تعبق به تعابير القرآن التصويرية»12 (بلحسيني، 2005م: 77). واستلهمت الشاعرة من شخصيات الأنبياء ما يسعفها في التعبير عن مشاعرها إذ ربطت تجارب تلك الشخصيات بتجاربها المعاصرة. ومن شخصيات الأنبياء التي تم استحضارها في قصائد الشاعرة هي شخصيات:

النبي موسى عليه السلام

إحدى الشخصيات التي لها انعكاس في أشعار نجاح إبراهيم هي شخصية كليم الله النبي موسى (ع). لكل نبيٍّ معجزة عُرف بها ومن معجزات النبي موسى، هي عصاه كما ورد ذكرها في القرآن الكريم. والشاعرة توظّف شخصية النبي وبرفقته عصاه وكأنما لا انفكاك بينهما حسب معاملة الشاعرة وتوظيفها لهما.

في قصيدة "يا ساقي العطاش" نلاحظ أنَّ الشاعرة عبّرت عن حامل اللواء أبي الفضل العباس عليه السلام الذي كثيراً ما سمعنا عن مواقفه مع أخيه الإمام الحسين (ع) وما جرى معه في واقعة الطّف، فهي عبّرت عن مدى وفائه وجُوده ووظَّفت "عصا موسى" للتعبير عن بَسَالته، فأنشدت هكذا:

لهفي عليك!/ يا حاملاً لواءَ الحياةِ بعينيك/ بحرٌ من الملحِ امتدّ بين قدميك/ ولظى اللهفة لأكباد صارخة/ بين جنبيك/ يموجُ البحرُ/ ينشقُّ بلا عصا موسى/ ينبلجُ/ ويحترقُ/ قل لي../ يا ساقياً عطشي بأزرقيك!/ من بترَ كفيك؟13

من خلال هذه الأبيات نرى إسقاط ملامح شخصية النبي موسى(ع) على شخصية أبي الفضل العباس، فهي بتوظيفها لعصا موسى التي انشقّ البحر بواسطتها أرادت أنْ تظهر لنا مدى شجاعة أبي الفضل وقدرته، إذ أنَّ البحر ينشقُّ في حال دخوله إياه دون استخدامه لأي شيء وإن كانتْ عصا موسى وذلك خشية من هيبته. وفي الأخير نلاحظ حزن الشاعرة على ما حلَّ بأبي الفضل بقولها «من بترَ كفيك؟» وكأنما أشحنت سؤالها هذا بحرقة قلبها ولوعته.

وفي قصيدة "في كفّكِ مَاءُ" تستدعي الشخصية ذاتها (النبي موسى (ع)) في خطابها ومدحها لأم الدنيا وتقول:

كلُّ الجهاتِ تضيعُ في المُدنِ العمياء/ إلّا جهتك –يا أم الدنيا– شَمساً/ ترتلُ معجزةَ الضّياء/ دلّيني كيفَ أغنيّكِ/ أنا القادِمَةُ من أرضٍ مرّ بها ألفُ غراب/ وظلّ قاسيونها/ يمتدّ ياسميناً بأوردةِ السّحاب/ وعشقُها كالشّعرِ/ يفتحُ باباً بعدَ باب/ دلّيني، هاكِ يدي/ كيف أقرأُ نسيماً فوقَ سُمرتك؟/ ليستيقظَ نبيٌ من قَاعِ ضلعك/ يشقّ البحرَ بعصاه/ ويتلو سِفرَ الأمجاد.14

في هذه المقطوعة نرى أنَّ الشاعرة تخاطب مصر وتشبّهها بالشمس التي تضيء كل مكان وهذا ما يميّزها عن سائر البلدان حسب رأي الشاعرة، وفيما بعد باستخدامها لفعل أمر «دلّيني» لعدة مراتٍ، تجعل هذه الشمس كدليلٍ ومرشدٍ لها، فهي مهما أنشدت لا تستطيع أن تعبّر عن مدى حبّها تجاه هذا البلد. وبعد ذلك تبدأ الشاعرة بتقديم نفسها وتقول بأنَّها قد أتت من بلد مرَّ به ألف غراب، و«الغراب» هنا إمَّا تعبيراً عن المصائب والآلام التي واكبت بلاد الشاعرة وإمَّا تعبيراً عن تلك الفرقة ذات الملابس والقلوب السوداء التي أسمت نفسها "داعش" واقتحمت بلاد الشاعرة وأورثته الدَّمار. وفي النهاية نلاحظ استحضار الشاعرة لشخصية النبي موسى؛ فيمكن القول بأنَّ استدعاءها لهذه الشخصية دلالةٌ على الحرية وانتصار الحق على الباطل، فهي تطلب من النبي بأن يقوم من رقاده وأن يشقَّ البحر بعصاه ليمحوَ الظلم والفساد وليُنشرَ الحرية الضائعة في أرجاء البلاد كما فعل سابقاً وأزال الظالمين والفاسدين وعلى رأسهم فرعون بشقِّه للبحر. وكذلك تطلبُ منه بأن يُكشف لنا عن مفاخر مصر وعظمتها بتلاوته لسِفر الأمجاد.

النبي يوسف عليه السلام

قصة سيدنا يوسف (ع) هي من القصص التي استرعت عناية الشعراء بها ووردتْ نصوصَهم بمختلف ملامحها وأثْرتْ نتاجهم الشعري، وذلك بواسطة الصفقة التي يعقدها الشاعر معها لحصوله على الرموز الدلالية المستوحاة منها. استدعت نجاح إبراهيم شخصية النبي يوسف (ع) وأوردت معطياتها في قصائدها لكي تُكشف لنا ما يدور في باطنها من مشاعر

وأحاسيس، واسترفدتها في قصيدة "مدنُ الحُزن" تعبيراً عمّا يجري في العالم من خيانات، إذ تقول:

وأخي اللاهثُ خلفي/ يغويه دمي/فيقصَّ أجنحة جسدي/ يقدّ قميصي/ من قبلٍ../ ومن دُبرِ/ يقدّمني في يومهِ/ لإلهٍ غيرِ إلهي/ إنْ جاعَ يأكلهُ/ إنْ زمجرَ يركلهُ/ وإلهي صامتٌ/ جامدٌ على فمي.15

فالشاعرة هنا ضمّنت قصيدتَها آليةَ استدعاء الأحداث التاريخية التي جرت مع النبي يوسف لتصوير ما يحدث في مجتمعاتنا من غدرٍ وخيانةٍ، «حيث تجرّنا الخيانات القريبة إلى عذاب روحي»16، فكما نشاهد الوضع السائد في العالم العربي، نرى بأنّ قد أصبح المسلم متعطِّشاً لدماء أخيه المسلم، أو غير مبال لما يصيبه من مكروهٍ كالجريمة التي ارتكبها إخوان يوسف بحق أخيهم؛ كذلك نلاحظ الانزياح في عناصر القصَّة إذ تنسب الشاعرة عمل قدّ القميص الذي كان على يد زليخة إلى إخوان يوسف، وتشير إلى أنَّ قدّ القميص لم يكن من جهة واحدة بل من جهتين «من قبلٍ ومن دبرٍ»، فهي باستخدامها لهذا الانزياح تريد أن تجسِّد لنا شدّة الخيانات التي ضاعت الناس بسببها وسُلبتْ حقَّها في الدفاع عن نفسها. استمدّت نجاح هذه الشخصية في قصيدة "آتٍ إليّ"، وأنشدتْ:

أكادُ/ أشمّ فوحَ يوسُف!/ من عباءةِ المسافات/ يمشّط خطوَ الوردِ/ هديرُ هَمْسهِ في مسمَعي/ يناجي شجرَ الغيم/ كأنّ قلبي ما عاد قلبي!/ رعداً أيقظَ الأيائلَ/ الغافية في ظلّ القمرِ/ يسابق وقع أبهته/ طاعنٌ في النبوءةِ/ وأنا أعشق الرّسالات/ تتفتحُ بين يديهِ/ تشقُّ الموجَ/ فيُعشبُ الدّربُ بالنجومْ/ أصابعي تمتدّ من آخرِ الكون/ إلى أوّله/ تمسكُ بمروجِ الحبقِ/ أيّها القادم إليّ/ لن أولي غَزْلَ النهارِ مدائحي/ لن أغمّسهُ بالصّبر/ الدّموعِ/ أسراب النظرات17

نلاحظ من الأبيات مدى لهفة الشاعرة لرؤية المحبوب الذي عبّرت عنه باستحضار شخصية يوسف (ع)، فتارةً تشمُّ عطره وتارةً تسمع همساته، فهي فقدت السيطرة على قلبها ولا يحدث هذا إلَّا مع المشتاق. وتشعر الشاعرة بأنَّ كل الأشياء المحاطة بها تخبر عن مجيء المحبوب الذي طالما انتظرته فهو سبب إنارة ظلمتها، وتشير إلى أنّ رؤيتها له بمثابة امتلاكها للكون ونهايةٌ للدّموع والصبر والانتظار.

ضمّن الشعراء المعاصرون نصوصَهم القصصَ القرآنيةَ ذات الرموز الدلالية، وهذا ما يدلّ على شغفهم وإحاطتهم بتلك القصص وبالأحداث التي مرّت بها كلُّ شخصية من شخصياتها. ومن ضمن تلك الشخصيات، هي: شخصية النبي إسماعيل والنبي يونس والنبي نوح عليهم السلام التي أوردتها الشاعرة في قصيدة "كان لابدّ من ذلك".

النبي إسماعيل عليه السلام

استلهمت الشاعرة قصة النبي إسماعيل أبا العرب (ع) في إطار ملامحها القرآنية وأدخلتها شعرها دون أنْ تذكر اسمه مباشرة. ويتجلى حضور شخصية النبي إسماعيل إما مرافقةً لشخصية الأم وهي هاجر وإما مرافقةً لشخصية الأب وهو النبي إبراهيم (ع). وكما نلاحظ أنَّ الشاعرة عرضت الشخصية بحقب زمنية مختلفة من عمرها، فتارة تستدعيها وهو كان رضيعاً، إذ تقول:

كانَ لابدّ من العَطشِ واللّوبان/ بينَ الصّفا والمَروة/ كي تتفجرَ زمزم/ وأرتوي!18

استدعت الشاعرة هنا قصة النبي اسماعيل ووالدته وما جرى معهما في الحجاز وتشير إلى أنّ على الإنسان أن يسعى ويشقى لكي يصل إلى ما تمناه وأنَّ الله عزّ وجلّ يهب الإنسان ما يطلبه عند سعيه وجهده وراء ذلك الشيء، وأنّ مواجهة الصعوبات أحياناً تكون في صالح الإنسان ومصدر خيرٍ له، كما أنّ عطش النبي إسماعيل في تلك الأرض المقفرة كان سبباً في تدفّقِ زمزم وفي اتّخاذ الناس ذلك المكان ملجأً وسكناً لهم. وفي مقطع آخر تستحضر الشاعرة قصة ذبح إسماعيل وهو شابٌ بيد أبيه إبراهيم (ع) وفداءه كما ورد ذكرها في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾19 ، وتنشد هكذا:

لابدّ من الصّبر/ أمامَ أجراسِ الابتلاء/ أمدُّ عنقي –ما شاءَ لها أنْ تمتدّ– عَلى/ مذبحِ الانتظار/ لسكينٍ تُخاتلُ الصّبر بالفداء/ كي تحظى عينايَ/ بمُروجِ البَهار/ وببهارِك أشعلُ وقتي.20

تقمّصت الشاعرة هنا شخصية أبي العرب عند ذبحهِ، فتتكلم عن لسانه وتُبيّن لنا أنَّ عليها أن تعتاد الصبر عند ابتلائها بمصيبة، وتقول بأنَّ طريق الوصول إلى لقاء المحبوب أو الرَّب هو

ذبح النفس الأمَّارة بالسوء واتِّباع الأمر الإلهي كما اتَّبعه إسماعيل (ع)، والإنسان بقطعه لهذا الطريق يصل إلى حلاوة الإيمان واللقاء الذي كان بانتظاره.

النبي نوح عليه السلام

من الأنبياء الذين شاع ذكرهم في الأدب المعاصر هو النبي نوح (ع)؛ الذي «هو رمز للثبات على الحق والصبر والمثابرة»21. واقترن توظيف شخصيته أحياناً بصنعه للفلك وبالطوفان الذي تعرّض له قومه الكفار، فهم كانوا يقومون بمحاربته دائماً فواجه الكثير من الصعوبات في دعوته إيّاهم إلى طريق الحق، فكانت السفينة وسيلة نجاته من الكفرة ومن الطوفان. استمدّ الشعراء رموزهم الدلالية وما يضاهي تجاربهم الشعرية من هذه القصة كما فعلت الشاعرة نجاح إبراهيم واستدعت القصة في شعرها، إذ تقول:

لابدّ من القَهْر/ وحراسةِ شجرٍ مَنذورٍ لفُلكٍ/ يَدورُ في الفَيضانِ/ وعلى «الجودي» يَستوي/ لأهتفَ مِلءَ حَمائمي:/ لا عاصمَ للغريق/ إلّا قارعة جهَتي/ وعطرُ يديك قبلتي.22

تُشير الشاعرة في هذه المقطوعة إلى الحوادث التي مرّ بها النبي نوح (ع) من صُنع الفلك والفيضان واستواء الفلك على جبل "جودي" وكأنَّما تريد القول بأنَّ سوف يأتي يوماً سننتصر فيه على الأعداء بمقاومتنا وسيأخذ الله بثأرنا منهم كما فعل مع قوم نوح، ولكن لا يحصل هذا إلَّا إذا تكاتفت الناس مع بعضها وأصبحت يداً واحدةً، وبقولها «لا عاصمَ للغريق إلّا قارعة جهَتي» تلمِّح إلى هروب أولاد نوح ومَن معهم مِن الفيضان وغرقهم فيه، وتشير إلى أنَّ الهروب من الوطن ليس هو الحل بل الحل هو الصبر والاستقامة والمثابرة لخوض الشدائد فيه كما صبر وثابر نوح عند صُنعه للفلك وفي الأخير رأى نتيجة ذلك بنجاته من الغرق، فتقول بأنَّ الوطن هو قِبلتها ولا يحلو لها العيش إلَّا فيه.

النبي يونس عليه السلام

اعتنت نجاح إبراهيم بتوظيف النبي يونس عليه السلام في شعرها؛ ذلك النبي الذي وردت قصته مع الحوت في القرآن الكريم؛ القصة التي تحمل في طيّاتها مَعَاني وعبراً عظيمة. «وقد وصف بـ (صاحب الحوت)، و(ذي النون) والنون هو الحوت، وذلك لدخوله في بطنه عندما ألقي في اليم»23. قال الله تعالى عن نبيه يونس: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾24 فاستعانت الشاعرة بالنص الغائب في النص الحاضر واسترفدت قصته، فتقول:

لابدّ من الظلمات/ واللبثِ في بَطنِ النّون/ تُطوى بحارٌ أمامَ عَتمتي/ وتنامُ ليالٍ في صَمتي/ ليبصّرني تسبيحُ الحَصى؛/ ودعائي عن رَهبةٍ يَشقُّ النّوى/ «سُبْحَانَكَ إنّي كنتُ مِن الظالمين»/ فأشهدُ كَشفَ الضرّ والبَلوى/ لابدّ من المعصية/ حتى إلى وجهكَ أهتدي.25

نلاحظ في هذه المقطوعة أنَّ الشاعرة استلهمت ملامح قصة النبي يونس (ع) واستحضرت عناصرها كالظلام والنّون والليل والتسبيح، كي تصف لنا الظلام والخوف اللذين يحيطان بالإنسان عند اقترافه للذنوب، واستعانت بتقنية التناص في استخدامها للآية القرآنية، فتشير إلى أنّ لابدّ للإنسان أنْ يخطوَ بخطواته في هذا الطريق أحياناً كي يميّز طريق الحق من الباطل، حتّى يصل إلى أسمى هدف وهو الله عزّ وجلّ الذي سينير ظلمته وسيوصله إلى طريق الحق.

الشخصيات النسائية في شعر نجاح ابراهيم

لم تتفاد الشاعرة استدعاء شخصيات النساء في شعرها، إذ لا تقلّ أهمية أثرها عن أهمية أثر الأنبياء في القصائد. الشخصيات النسائية الدينية؛ هي تلك الشخصيات التي وردت قصصها في القرآن الكريم ووظّفت نجاح ملامحها وأسقطتها على تجربتها الشعرية، ومن تلك الشخصيات هي: شخصية هاجر، وشخصية زليخة، وشخصية مريم (ع) التي تطرَّقنا إليها في هذه الدراسة.

شخصية هاجر

عُنيت نجاح إبراهيم بشخصية هاجر زوجة النبي إبراهيم (ع) التي طالما سمعنا بقصتها هي وولدها إسماعيل (ع) في وادي مكَّة، ترمز هذه الشخصية للحيرة والتيه والقلق؛ كما استلهمتها الشاعرة في قصيدة "منذ ألفِ نبوءةٍ":

يا قدري المنتظر!/ مُنذ ألفِ نبوءَةٍ/ أراوده الحيرةَ/ الاحتفاءَ/ مثلَ هاجرَ لاهثةً بين جبلٍ وجبلِ/ يَمضّني السُّهدُ والقلقْ26

في هذه القصيدة تكشف لنا الشاعرة عن هيمنة دوّامة السَّهر والخوف والقلق على الوطن بتوظيفها لشخصية هاجر اللاهثة والمتحيرة بين جبلٍ وجبل. استعانت الشاعرة بالشخصية لتصوّر لنا مدى حيرة الوطن قبال الوضع السائد فيه وقبال الحرب المدمّرة التي سلبت منه الراحة. ونجد لهاث الوطن لإحلال الأمن والسلام فيه وإزالة الشرّ والظلام عنه. وفي قصيدة "شهوة المراثي" نرى تكاتف الشاعرة مع العراقيين إثر الانفجار المُهيب في "كرَّادة" الذي نُتج عنه مقتل وإصابة المئات من الناس والذي سلب منهم فرحة العيد الذي كانوا على أبوابه، فالشاعرة لم تتفادَ هذه القضية ودخلت في زمرة الشعراء الذين تطرَّقوا إليها، فتقول:

لم يحتملْ ذلك اليوم/ تلالَ الإرثِ من الضّجيج/ ولا قوافلَ العطرِ في " سبع قصور"/ ولا عتباتِ الزّهرِ/ ولا بيادرَ النشيد/ ودّ أن يؤرّخَ امتلاءَهُ في وجهِ العطش/ ولوبانُ "هاجر"/ يجرحُ خدودَ المسافات/ يلطخُ ما تبقّى في عراءِ الصّحراء/ فتحرّكت شهوة المراثي/ في حبرِ الشعراء/ استعرتْ النارُ/ تسافرُ في الأجسادِ زلزالاً/ من أبعدِ نأمةٍ في الهَلعِ/ إلى أقاصي الوريد/ شاخ النظرُ إذ رأى الأرواحَ/ تتقاطرُ سيلاً نحو السّماء/ هل رأيتم سيلاً يصّاعدُ؟27

نجد استدعاء الشاعرة لشخصية هاجر اللاهثة في هذه الأبيات كذلك، فهي تصف لنا ذلك اليوم الدّامي وعطشه قبال النيران التي اندلعت وأحرقت الأجساد وأخذت معها أرواح الأبرياء التي تصاعدت نحو السماء بدخان النار المضطرمة. وظّفت نجاح الشخصية لهذا الحدث المؤلم لكي تجسّد لنا لَوبان الناس في جوف النيران المحاطة بها واستغاثتها بمَن يطفئ لهيبها. وعند رؤية المتلقي لهذه القصيدة يرى بأنَّه أمام شاعرة أحاطت بأحزان أوطانٍ أخرى إضافةً إلى حزن وطنها وشاركت أخيها المسلم همَّه.

شخصية زُلَيخَة

ومن الشخصيات النسائية الدينية التي اعتمدت عليها الشاعرة واسترفدتها في أشعارها هي شخصية زليخة زوجة عزيز مصر التي وَرَدَتْ قصَّتها مع النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، فهي من شدة حبها وولعها للنَّبي يوسف أرادت أنْ تراوده عن نفسه ولكنَّ أبى النَّبي أنْ يعصيَ الله وابتعد عن اغوائها له، فلمّا شاعت سيرتها على ألسن النّاس ولا سيّما نساء مصر استشاطت غضباً، ومن ثمَّ دعت النساء إلى قصرها وأمرت بإعطاء كلَّ واحدة منهنّ سكيناً،

لتُريهنّ جمال يوسف وسحره الذي يسلب الإنسانَ عقلَه. وبعدَ رؤية يوسف وجماله البهيّ انبهرن به وقطَّعنَ أيديهنّ دون الشعور بذلك. زليخة هي رمزٌ للعاشقة التي احترقت بنار حبٍّ وجمالٍ من تحب. والشاعرة عند توظيفها لهذه الشخصية في قصيدة "جَمالٌ" أرادت أنْ تُكشفَ عن مدى شغفها بوطنها وعن افتتانها بجماله كما افتتنت زليخة وصُويحباتها بجمال يوسف، فهكذا أنشدت:

مُذ صَحوتُ على شَاهقهِ/ وارتقيتُ أعاليهِ/ صَارَ نظري عَصياً على النّزول/ وقلبي المطعونُ بسِهامهِ/ يبحثُ عن صكّ غفرانٍ/ لصويحباتِ زليخة/ أعتذرُ عن هذا الجنون/ فإنْ استطعتَ أوقفْ في شاهقاتِ دَمي/ براكينَ الذّهول؟28

فالشاعرة تجد نفسها في زمرة زليخة وصويحباتها، ولهذا السبب تبحث عن صكّ غفرانٍ لهنَّ لأنّها لا تستطيع التحكُّم بقلبها تجاه الحب وبالتحديد الحب للوطن. ولكنَّ ذهول الشاعرة بجمال الوطن أعظم بكثير من ذهول صويحبات زليخة بجمال يوسف؛ لأنَّ الذي يتقطّع بسهام الحب هنا هو قلب الشاعرة وليس يداها. واستخدامها للاستفهام الإنكاري يوحي بأنَّ لا أحد يستطيع أن يوقفَ جَرَيَان هذا الحب والاندهاش في شرايين دمها. وتوظِّف هذه الشخصية كذلك في قصيدة "زليخةٌ أنا" وتقول:

بتوقيتِ الشّوق/ جَرحتُ يَدي/ وشهدتُ بأمّ شهقتي/ قوافلَ رعافها/ تذكرتُ/ زليخةَ حين سَالَ/ اسمُ يوسفَ من دَمِها/ حرفاً/ حرفاً/ فوقَ نقاءِ رخامِها/ نمّ عن ولهٍ/ وغليانٍ/ وأكداسِ عشقِها؛/ ورأيتُ قطراتِ دَمي/ صحراءَ آناءَ عريّها../ مرايا الرّيح/ تَعكس ظلك الفضيّ/ محكوماً بالبَهاء/ ترمي في رحابِ وحدتي/ رعشَ جمرِها.29

تستدعي الشاعرة في القصيدة قصة زليخة والنبي يوسف (ع) «ويُقال إن زليخة أصابها سهم ولما تساقطت نقاطُ دمِها على الأرض تساقطت في مواضع عديدة لتكتب اسم يوسف يوسف ..، حيث إنها كانت دائمة التكرار للاسم مثلما يجري الدم في عروقها».30، وندرك من خلال هذه الأبيات أنَّ الاشتياق والتلهُّف ينتئل من الإنسان قدرة التحكم بشعوره إذ أنَّ الشوق يُفقد الشاعرة الإحساس بالألم إثرَ جرحها، فتتذكر قصة زليخة عند إصابتها بالسهم وتشير إلى أنَّ

هذا الجرح وما يتساقط منه من دمٍ يدل على الوله وعلى تغلغُل الحب في أعماق قلب الإنسان.

شخصية مريم عليها السلام

تحيلنا الشاعرة إلى شخصية السيدة مريم (ع)؛ وهي الشخصية النسائية الوحيدة التي ذُكر اسمها في القرآن الكريم مباشرة، «فهي رمز ثقافي ديني عام»31، ورمز للمضطهد الذي واكبه الحزن والألم في طريقه إلى الحق، تتَّخذ نجاح إبراهيم هذه الشخصية ايحاءً لابتئاس الوطن حيال ما يحدث به من مصائب وفجائع، وفي قصيدة "أتدري لو أتيت؟" تُبيِّن لنا وضع البلاد في ليلة الميلاد وتقول:

سكونٌ مثلُ روحي المطفأة من بُعدكَ/ وعتمةٌ توخزُ ضميرَ ضوءٍ مهجور/ فجأة../ مطرٌ راعبٌ، شغوفٌ يهمي/ حتى إني أخشى مدّ دمي/ من الشباك/ رصاصٌ/ نارٌ/ وأعمدةُ لهبٍ تسابقُ الضّوء/ نحو الله../ قلوبٌ راجفةٌ وكنائسَ باردةٌ/ وشموعٌ ترتجفُ رؤوسُها/ أمامَ حزنِ مريمَ العجيب/ والمرايا ملآى بالغُربان/ لا أدركُ فيها معنى/ لم يَعد لوجهي واحدةً/ أرجعُ من السّواد/ أطوي أعماراً نازفةً وجعي32

تصف لنا الشاعرة في البداية ليلة ميلاد المسيح والسكون والعتمة التي عمَّت الوطن مع ابتعاد ابنائه عنه بسبب الأحداث، عكس كل الأعياد التي مضت وفيما بعد تصوِّر لنا الحرب الغائمة على البلاد والرَّصاص والنَّار التي تتقاذف في كل مكان كهطول المطر المُرعب وتوظِّف شخصية السيدة مريم وتصف لنا حزنها عند رؤية ظلام الكنائس التي كانت عامرة بالنّاس والآن قد تهدَّمت وخَلَتْ منهم، فالشاعرة بهذا التوظيف تجسِّد لنا حزن الوطن الأم قبال الدّمار الذي حلَّ بها وخلوِّها من أبنائها وكذلك حزنها عند رؤيتها لأضواء نيران الحرب التي أطفت أضواءها، فتقول:

أتدري لو أتيت؟/ سأرشفُ ندى الطريق بهدبي/ وأعلنُ أمامَ الكون:/ أن أنوثتي اكتملت/ والجلنار على أظافري/ عصافيرَ نارٍ/ تغاوي الرّقصَ في نبضي/ وأنَ الحياة داهشة/ والموتَ بعيدٌ/ ومن النظرة الأولى في بابي/ ستعرفُ ما بي/ واحتفاءاتي ليست/ لغير نبي.33

فكأنَّ الشاعرة تبحث عن مُنجٍ يحيي بلدها من موته ويُبعد عنه العتمة والظَّلام ونستنبط من قولها «واحتفاءاتي ليست لغير نبي» بأنَّ هذا المنقذ هو النبي عيسى (ع) الذي كان يحيي الموتى، فهي تنتظر عودته كي تعود الحياة للبلاد وكي يحلُّ فيها الأمن والسَّلام بوجوده. شخصية المسيح «شخصية إيجابية ذات المواقف النبيلة التي أوردها الشعراء في دواوينهم؛ فهم يستخدمونه تارة رمزاً للاستقامة لما تحمل من الإيذاء والاضطهاد في حياته وتارة أخرى رمزاً للوطن والبقاء»34. وفي قصيدة "مَرَّ بي ظعنُ الحياة" نلاحظ استخدام الشاعرة لملامح قصة السيدة مريم (ع) بواسطة تقنية التناص، فتقول:

سأظلّ أهزّ بجذعِ نخلةٍ/ أهزّ الرّوح../ الحلم../ كلما هززتُه/ فاحت أغاني الطريق/ وظعن الولادات مرّ/ موكباً من قداسةٍ/ يوقظُ ما غفا من حبٍّ/ لقوافلِ البوحِ/ فاحتملْ رقصَ شجري إنْ استطعتَ/ ولألاءَ نجمةٍ على قميصي35

تحيلنا الشاعرة هنا إلى الآية القرآنية ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾36، وتشير إلى توالُد الأمل بواسطة هزِّها بجذع النخلة، وكذلك تعبّر من خلال هذا التناص عن سعيها للمكافحة والنضال، واستخدامها لفعل المستقبل «سأظلّ» يدلّ على هذا الاستمرار. وتشير إلى أنَّ لن يستمرَّ الوضع المأساوي المخيِّم على البلاد بل سيأخذ مكانه الفرح، فتذكِّر العدو بمحاولاته الفاشلة وغير المثمرة في تدمير الوطن. ويمكن من خلال تعبيرها بـ «رقص الشجر» استشفاف صورة الوطن وهو على قيد الحياة وبعيدٌ عن أذى الأعداء. وفي الأخير تستخدم الشاعرة مفردة «نجمة» فكأنَّما تريد بها الإشارة إلى علم بلادها سوريا الذي كان العدو في صدد إسقاطه.

الشخصيات الإسلامية في شعر نجاح ابراهيم

شاع استدعاء الشخصيات الإسلامية عند شعراء العصر الحديث؛ وهي عبارة عن «شخصيات حقيقية تنتمي إلى الإسلام ومحسوبة عليه، .... وكان لها مواقف تبرزها بين شخصيات عصرها»37، فلفتت انتباه الشعراء واستمدّوا منها رموزهم ومعانيهم إثراءً لمضامينهم الشعرية ولقداسة هذه الشخصيات بين الشعوب لا سيّما الإسلامية، وكذلك استخدموها كرمزٍ للتعبير عن آلامهم وما يتعرّضون له من ظلمٍ واضطهاد. وأمّا الشخصيات

الإسلامية التي ضمّنتها نجاح إبراهيم أشعارها، فهي شخصية بطلَي كربلاء؛ الإمام الحسين (ع) والسيدة زينب (س) الَّذَين يمكن تسميتهما بثنائي الثورة والإباء. وكثيراً ما نلاحظ توظيف الشعراء للشخصيتين مسلمين كانوا أم مسيحيين وذلك لوجود ما يحتاجون إليه من دلالات ضمن هاتين الشخصيتين اللَّتين اتسمتا بالشجاعة والمظلومية، فكان لهما دورٌ مهمٌ في واقعة عاشوراء وانتهج منهجهما أغلب النّاس وبالتحديد الذين عاشوا الظلم والفساد.

الإمام الحسين عليه السلام

اعتمد الكثير من الأدباء على شخصية الإمام الحسين وعَنوا برموزها المختلفة، فهو رمزٌ للحق، والحرية، والإباء. و«شخصية الإمام الحسين (ع) لا تأتي لمجرّد الدلالة على شخصياتٍ موجودةٍ على أرض الواقع بقدر ما تدلُّ على قيمٍ وأفكار ومعانٍ سامية ونبيلة»38.

استحضرت نجاح إبراهيم هذه الشخصية في قصيدة "موسمُ الحدادِ والحناءِ" قائلةً:

بين بغدادَ/ وحلبْ/ ألفُ جرحٍ أنزفته/ خفافيشُ الظلام/ يا للمكان!/ مكسورٌ كوجهي/ شطرته أناملُ الأيامى/ قلوبٌ صغيرةٌ لليتامى/ تلويحاتُ أيدٍ معروقةٍ بالشذر الأزرق/ شموعٌ أضاءت ردهاتِ الخرابْ/ بين بغداد وحلبْ/ أطلقتُ روحي من وجعٍ وتعبْ/ طائراً خرج من زجاجة الأنين/ قلبي ملاءة ليلٍ/ ترفٌ في مرقد "الحسين"39

تحيلنا الشاعرة هنا إلى ما حدث من قوارع تسببتها «داعش» تلك الفرقة الرديئة الجانية والسفّاحة لدماء الأبرياء التي عبّرت عنها الشاعرة بفرقة «خفافيش الظلام»، إذ تشير إلى الأوجاع والأحزان المخيّمة على روحها وقلبها بسبب الدَّمار والخراب الذي أحدثته تلك الفرقة في العراق والشام وتشير أيضاً إلى تيتُّم الأطفال على يدها. ونستنبط من هذه الأبيات أنَّ الشاعرة تعيش حياة مأساوية نتيجةً للأوضاع السائدة، فهي جعلت الإمام الحسين (ع) ومرقده ملاذاً آمناً تحتمي به من كل هذه الآلام.

السيدة زينب سلام الله عليها

السيدة زينب (س) هي من الشخصيات النسائية البارزة في الإسلام وتحديداً في مذهب الشيعة وهي التي أحيت نهضة الإمام الحسين (ع) بعد استشهاده، فهي ترمز إلى الصبر والنضال والإباء وإلى كل امرأةٍ صامدةٍ وقفت في وجه الظلم ونادت بالحق والكرامة. عمدت نجاح

إبراهيم إلى استلهام شخصية السيدة زينب (س) في نتاجها الشعري وأشارت إليها بصورة غير مباشرة بواسطة استخدامها للقب "السيدة"، كما نلمحه في قصيدة "سيدةُ الضّوء":

كم شبّه لهم موتُها؟!/ وعلى مشانقِ الرّيح/ علقوها؟!/ يا لخزيهم!/ ليجمعوا الحَطبَ، وحزمَ النّاردين/ لينظروا كيفَ يتوالدُ الفينيق/ وباحتراقاته يُحتفى/ هل يَحترق عطرُ الشام/ في دم السيدة؟40

تُبيّن لنا الشاعرة في هذه المقطوعة صمود الوطن قبال فِعَال الأعداء والفاسدين وتشبّهه بالطائر الفينيق الذي كلّما احترق يتوالد من رماده طائرٌ آخر، فهي تريد القول بأنّ لا جدوى من محاولات الأعداء وهجماتهم لإسقاط وتدمير الوطن وأنّ كيف للوطن الذي قد استمدّ صموده من صمود السيدة زينب (س) أنْ يفنَى ويَبيد؛ فهو محميٌّ بوجود بطلة كربلاء فيه. ويمكن القول بأنَّ شخصية السيدة زينب (س) في هذه الأبيات تدلُّ على المرأة السورية التي كافحت لحماية بلدها من شرِّ الأعداء وضحَّت بدماء أبنائها في سبيل الحقِّ والحرّيّة. دائماً كان للنساء دورٌ هامٌ في ساحات القتال وخارجها بتشجيعهن للأبطال والمحاربين، فملحمة الطَّفِّ هي خيرُ دليلٍ على ذلك إذ نواجه قول السيدة زينب (ع) بأنّه «ما رأيتُ إلّا جميلاً» فهذا الصُّمود وهذا الإباء اللذان جعلا من السيدة بطلةً تقتدي بها أغلب النساء.

النتائج

أبرز الشخصيات الدينية التي استدعتها الشاعرة هي شخصيات الأنبياء، إذ شغلت قسماً كبيراً من القصائد. وأبرعت الشاعرة في توظيفها لهذه الشخصيات وملامحها، فإمّا تعبّر بها عن نفسها وإمّا عن الحرية وانتصار الحق على الباطل، كما وظّفت شخصية النبي موسى (ع) وطلبت منه بأن يشقَّ البحر بعصاه كي يمحو الظلم والفساد وينشر الحرية في أرجاء البلاد.

لم يكن توظيف الشاعرة للشخصيات مجرد نقل لها تزيّن به أشعارها بل هو ردَّة فعلٍ لما يحدث في المجتمعات البشرية. وتستخدم الشاعرة هذه التقنية إثراءً لمضامينها الشعرية، وللبوح بما يصعب عليها البوح به مباشرةً، فتشدُّ المتلقي للبحث والمقارنة ما بين تجارب الشخصيات وتجاربها، فهكذا تكون دلالاتها أشدّ وقعاً على ذهنه، وكذلك تتخذ الشخصيات وسيلة للإفصاح عن آلامها وآلام الشعوب وعن الإرهاصات التي واجهتها هي وذويها من الناس.

وظَّفت نجاح إبراهيم الكثير من الشخصيات الدينية ذات المعاني الخصبة في قصائدها وجعلتها أداةً تعبيريةً لخلجات نفسها ورؤاها إذ ربطت التجارب الماضية بتجاربها المعاصرة. واستعانت بالقصص الدينية لتصوير واقعها سواءً أكان مريراً أم حُلواً. ونلاحظ أحياناً تقمُّصها لتلك الشخصيات بكل تفاصيلها، فتتكلَّم عن لسانها أو تستعين بالتناص القرآني عند استدعاءها لها، فتارةً تستدعيها بصورة مباشرة وتارةً أخرى بصورة غير مباشرة كما استلهمت شخصية النبي موسى (ع) باستخدام «عصاه» وكذلك استحضرت شخصية السيدة زينب (س) مستعينةً بلقب «السيدة».

هناك دلالات متعددة للشخصيات المستدعاة في أشعار الشاعرة، فمن شخصيات الأنبياء استعانت الشاعرة بشخصية النبي يوسف (ع) تعبيراً عن المحبوب الذي هي في انتظاره وكذلك تعبيراً عن الخيانات التي نشاهدها في العالم العربي التي هي أشبه بخيانة إخوان يوسف بحق أخيهم. ومن الشخصيات النسائية تدلُّ شخصيتا هاجر والسيدة مريم (ع) على البلاد الأمّ وتشير إلى حزنها وقلقها تجاه المصائب والصعوبات التي واجهتها. واسترفدت نجاح شخصية زليخة دلالةً على لهيب الحب سواءً كان هذا الحب للوطن أو للمحبوب. ومن الشخصيات المقدسة اتَّخذت شخصية الإمام الحسين (ع) ملاذاً آمناً تحتمي به، وجعلت السيدة زينب (س) رمزاً لكل امرأةٍ صامدةٍ وقفت في وجه الظلم ونادت بالحق والكرامة.

Results:

The most prominent religious figures summoned by the poet are the personalities of the prophets, as they occupied a large part of the poems. The poet excelled in her employment of these personalities and their features, either expressing themselves or freedom and the victory of truth over falsehood, as she hired the personality of the Prophet Moses (PBUH) and asked him to break the sea with his cane to erase injustice and corruption and spread freedom throughout the country.

The poet's employ of the characters was not just a transmission for her poetry, but rather a reaction to what is happening in human societies. The poet uses this technique to enrich her poetic contents, and to reveal what is difficult for her to

reveal directly, and directs the recipient to search and compare the experiences of the personalities and their experiences. Thus, their indications are more severe on his mind, and the characters also take a way to disclose their pain and the pain of peoples and the constraints that they and their families faced from People. Ibrahim's success employed many religious personalities with fertile meanings in her poems and made them an expressive tool for her own Khalajat and visions as she linked past experiences with her contemporary experiences. She used religious stories to depict her reality, whether bitter or sweet. We sometimes notice the reincarnation of these personalities in all their details, to speak on their tongue or to use the Quranic intertextuality when summoning them, sometimes calling them directly and at other times indirectly, as it was inspired by the personality of the Prophet Moses (PBUH) using his “cane” as well as invoking the character of Mrs. Zainab (S) using the title "Ms". There are multiple indications of the summonses in the poems of the poet, and among the personalities of the prophets, the poet used the personality of the Prophet Joseph (PBUH) as an expression of the beloved who is waiting for him, as well as an expression of the betrayals that we see in the Arab world, which is like betraying the brothers of Joseph against their brother. Among the female figures, the characters of Hajar and Mrs. Maryam (PBUH) refer to the mother country and indicate her grief and anxiety towards the calamities and difficulties she faced. And the success of the character Zulekha was a sign of the flame of love, whether this love for the country or the beloved. Among the sacred personalities, the figure of Imam Al-Hussein (PBUH) took a safe haven in which to take refuge, and made Mrs. Zainab (PBUH) a symbol for every steadfast woman who stood in the face of injustice and called for truth and dignity.

قائمة الهوامش

1. نعيم عموري: «استدعاء التراث في رواية ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ»، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة 18، العدد 2، 1436هـ.ق، ص 35.
2. نجاح إبراهيم: سلطانة السبي، مصر، دار السكريّة للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2018م، صص 71-73.
3. محمّد بن مكرّم بن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة 3، 1999م، مادة ورث.
4. سورة الفجر/19.
5. سورة فاطر/ 32.
6. جمال عليّان: الحفاظ على التراث الثقافي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، د ط، 2005م، ص 71.
7. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د ط، 1997م، ص 7.
8. اسمهان مزياني: التراث الشعبي في رواية "سيد الخراب" لكمال قرور، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2015م،
9. نعيم عموري: «استدعاء التراث في رواية ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ»، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة 18، العدد 2، 1436هـ.ق، ص 26.
10. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د ط، 1997م، ص 75.
11. رافع محمد سلامة الكساسبة: توظيف التُراث في الموشَّحات الأندلسيَّة، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2006م، ص 19.
12. نصيرة بلحسيني: الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– نموذجاً – دراسة جمالية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان–، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005م، ص 77.
13. نجاح إبراهيم: سلطانة السبي، مصر، دار السكريّة للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2018م، ص 46.

14. المصدر نفسه: ص 24.
15. نجاح إبراهيم: أُغنية للبلشونِ الحزين، سورية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2017م، ص 40 و41.
16. المصدر نفسه: ص 12.
17. المصدر نفسه: ص 70 و71.
18. نجاح إبراهيم: عاصفة الجمال، مصر، دار السكرية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2018م، ص 78.
19. سورة الصافات/102.
20. نجاح إبراهيم: عاصفة الجمال، مصر، دار السكرية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2018م، ص 81 و82.
21. شبرو عبدالكريم: استدعاء الشَّخصيات التُّراثية في الخطاب الشِّعري الجزائري المعاصر (1980–1990)، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014م، ص 131.
22. نجاح إبراهيم: عاصفة الجمال، مصر، دار السكرية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2018م، ص 82.
23. سعيد عبدالعظيم: عظات وعبر في قصص الأنبياء، إسكندرية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، د ط، 2002م، ص 224.
24. سورة الأنبياء/87.
25. نجاح إبراهيم: عاصفة الجمال، مصر، دار السكرية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2018م، ص 78.
26. نجاح إبراهيم: شَهقةُ البَرق، د ب، مؤسسة نجيب محفوظ، الطبعة 1، 2017م، ص 27 و28.
27. نجاح إبراهيم: أُغنية للبلشونِ الحزين، سورية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2017م، ص 133 و134.
28. نجاح إبراهيم: سلطانة السبي، مصر، دار السكريّة للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2018م، ص 7.

29. نجاح إبراهيم: عاصفة الجمال، مصر، دار السكرية للنشر والتوزيع، الطبعة 2، 2018م، ص 49 و50.
30. آنا ماري شمل: روحي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، المترجم: لميس فايد، القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2016م، ص 116.
31. إبراهيم منصور الياسين: «الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة»، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3و4، 2010م، ص 263.
32. نجاح إبراهيم: شَهقةُ البَرق، د ب، مؤسسة نجيب محفوظ، الطبعة 1، 2017م، ص 60 و61.
33. المصدر نفسه: ص 64 و65.
34. عزت ملا إبراهيمي ومحمد سالمي وصديقة تاج الدين: «الرمز وتطوره الدلالي في الشعر الفلسطيني المقاوم»، مجلة القسم العربي، العدد 24، 2017م، ص 148.
35. نجاح إبراهيم: أُغنية للبلشونِ الحزين، سورية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2017م، ص 53 و54.
36. سورة مريم/25.
37. محمد بن عبدالله منور: استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، الرياض: النادي الأدبي بالرياض، الطبعة 1، 2007م، ص 7.
38. رسول بلاوي ومرضية آباد: «استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) في شعر يحيى السماوي»، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، العدد 27، 2013م، ص 9.
39. نجاح إبراهيم: أُغنية للبلشونِ الحزين، سورية، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2017م، ص 137.
40. نجاح إبراهيم: سلطانة السبي، مصر، دار السكريّة للنشر والتوزيع، الطبعة 1، 2018م، ص 30 و31.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب

1- القرآن الكريم.
2- إبراهيم، نجاح (2017م). أُغنية للبلشونِ الحزين، الطبعة 1، سورية: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

3- ـــــــــــــ (2017م). شَهقةُ البَرق، الطبعة 1، د ب، مؤسسة نجيب محفوظ.
4- ـــــــــــــ (2018). سُلْطانةُ السَّبي، الطبعة 1، مصر: دار السكرية للنشر والتوزيع.
5- ـــــــــــــ (2018م). عاصفة الجمال، الطبعة 2، مصر: دار السكرية للنشر والتوزيع.
6- ابن منظور، محمّد بن مكرّم (1999م). لسان العرب، الطبعة 3، بيروت: دار صادر، م 15.
7- شمل، آنا ماري (2016م). روحي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، المترجم: لميس فايد، الطبعة 1، القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع.
8- عبدالعظيم، سعيد (2002م). عظات وعبر في قصص الأنبياء، د ط، إسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.
9- عشري زايد، علي (1997م). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د ط، القاهرة: دار الفكر العربي.
10- عليّان، جمال (2005م). الحفاظ على التراث الثقافي، د ط، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
11- منور، محمد بن عبدالله (2007م). استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، الطبعة 1، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

الأطروحات والرسائل

12- بلحسيني، نصيرة (2005م). الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– نموذجاً –دراسة جمالية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها.
13- عبدالكريم، شبرو (2014م). استدعاء الشَّخصيات التُّراثية في الخطاب الشِّعري الجزائري المعاصر (1980–1990)، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها.
14- محمد سلامة الكساسبة، رافع (2006م). توظيف التُراث في الموشَّحات الأندلسيَّة، رسالة ماجستير في الأدب، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها.
15- مزياني، اسمهان (2015م). التراث الشعبي في رواية "سيد الخراب" لكمال قرور، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية.

البحوث

16- بلاوي، رسول ومرضية آباد (2013م). «استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) في شعر يحيى السماوي»، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، العدد 27، (صص 1-16).

17- عموري، نعيم (1436هـ.ق). «استدعاء التراث في رواية ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ»، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة 18، العدد 2، (صص 23-43).

18- ملا إبراهيمي، عزت ومحمد سالمي وصديقة تاج الدين (2017م). «الرمز وتطوره الدلالي في الشعر الفلسطيني المقاوم»، مجلة القسم العربي، العدد 24، (صص 125-156).

19- منصور الياسين، إبراهيم، (2010م). «الرموز التراثية في شعر عزالدين المناصرة»، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3و4، (صص 255-288).

List of Sources and reference:

books

i. AL Quran alkarim.

ii. Ibrahim, najah (2017). Oghnyatun lelbalshuon alhazin, first pub, Syria: kiwan publishing house.

iii. ---------- (2017). Shahghat albargh, first pub, Naguib Mahfouz press.

iv. ---------- (2018). Soltanato assaby, first pub, Egypt: alsukariah publishing house.

v. ---------- (2018). Asefat aljamal, second pub, Egypt: alsukariah publishing house.

vi. Ebn mandoor, mohammad ebn mokaram (1999). Lesano alarab, third pub, Beirut, sader pub, volume 15.

vii. Shamel, ana mari (2016). Meine seele ist eine frau, translator: lamis fayed, first pub, Egypt: Al kotob khan for publishing and distribution.

viii. Abdeladim, said (2002). Sermons and morals in the stories of prophets, Alexandria: darol iman for publishing and distribution.

ix. Ashri zayed, Ali (1997). Invoking traditional characters in Arabic modern poetry, Egypt: alfekr alarabi publishing house.

x. Aliyan, jamal (2005). The preservation of cultural heritage, Kuwait: selselato alamel marefah.

xi. Munawar, mohammad ebn abdallah (2007). Islamic Characters' inspiration in Arabic modern poetry, first pub, Riyadh: literary club in Riyadh.

xii. **Theses and dissertations**

xiii. Belhoseany, nasira (2005). The technical image in the quranic story an example the story of saidna yusuf –peace be upon him– aesthetic study, master's thesis in Arabic literature, Abi bakr belghayd university –talmasan– , faculty of letters and human sciences and social sciences, Arabic and literature's department.

xiv. Abdolkarim, shabro (2014). Invoking traditional characters in Algerian modern poetry prose (1980–1990), sciences doctoral dissertation in Arabic modern literature, Alhaj lakhdhar batena university, faculty of letters and Languages, Arabic and literature's department.

xv. Mohammad salama alkasaseba, rafe (2006). Employment of traditional in almowashahat alandalusia, master's thesis in literature, muta university, Arabic and literature's department.

xvi. Mezyani, asmahan (2015). The folklore in (said alkharab) novel of kamal gharur, master's thesis in literatures Arabic language, mohammad khaydhar university –baskara–, faculty of letters and Languages, literatures and Arabic's department.

xvii. Studies

xviii. Balavi, rasul and marzia abad (2013). Invoking Emam Hosein Character in Yahia Alsamawi's text, Iranian journal of scientific group of Arabic Language & literature, number 27, (pages 1-16).

xix. Amuri, naeem (1436 anno hegirae). «Invoking tradition In thartharaton faughal nile novel of Naguib Mahfouz», Afaq al-hadarah Al-islamiyyah journal, year 18, number 2, (pages 23-43).

xx. Mola ibrahimi, ezzat and mohammad salemi and sadighah tajoddin (2017). «The symbol and its semantic development in resistance Palestinian poetry», Arabic's department journal, number 24, (pages 125-156).

xxi. Mansur alyasin, Ibrahim (2010). «Traditional symbols in ezzedin almonaserah's poetry», Damascus university journal, volume 26, number 3&4, (pages 255-288).